الاستغراب بين الوصفية والمعيارية
مقاربة تاريخية

إعـــداد

أ د/ عرفـــات أحمـــــد مقبـــل
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كليـة الشريعـــة وأصول الدين
جامعة الملك خالد، أبها، السعودية

أ د /عبد الوهاب العروسي فرحـات
قســم الدراسـات الإسلاميـــــة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة البحرين

الاستغراب بين الوصفية والمعيارية مقاربة تاريخية

عرفات مقبل السهيلي. & عبد الوهاب فرحات

الأديان، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد. المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: arazar5566@gmail. com

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية "علم الاستغراب" الذي أصبح ضرورة حضارية لا مناص منها من أجل معرفة الآخر (الغرب) والتصدي لمخططاته التي تستهدف منظومتنا القيمية، ومقدراتنا الاقتصادية. وقبل ذلك ضرورة شرعية، نستشفها من خلال آي الذكر الحكيم الداعية إلى التفكر والاعتبار في سير الأمم والشعوب. كما في قوله تعالى: (سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا) (الفتح، الآية: ٢٣)؛ وقوله تعالى: (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (الحشر، الآية: ٢).

ولا تتحقق هذه القراءة الواعية إلا إذا امتلكنا ناصية العلم والمنهجية، كما امتلكها الغرب حين درس الشرق فأنشأ بالأمس علم الاستشراق بغرض تفكيك ثقافتنا ومن ثم يسهل عليه بعد ذلك تفكيك أمتنا وهذا ما حصل، فهل هناك إمكانية لنؤسس علما مختصا بنا، شبيه بالاستشراق ومضاد له في الأهداف تكون مهمته استكشافية ودفاعية؟ هذه هي الإشكالية الرئيسية التي تحكم مسار هذا البحث، لعل وعسى أن نوفق في المساهمة في إنشاء مدّونه لـــ "علم الاستغراب" تكون في حجم التحدي المطروح والغاية المنشودة في ظل الهيمنة الغربية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الاستغراب، غرب، وصفية، معيارية، مقاربة.

Occidentalism in between Description and Standardization A historical Approach

By: Arafat Moqbel Al- Suhaili
Department of Religions
College of Sharia and Fundamentals of Religion
King Khalid University
Saudi Arabia
&
Abdel- Wahab Farahat
Majored in Creed and Contemporary Doctrines
Department of Islamic Studies
University of Bahrain
Bahrain

Abstract

This research highlights the importance of Occidentalism which has become an inevitable cultural necessity for recognizing the other; the (West) and confront its schemes which target our system of values and our economic capabilities as well as being chiefly a legitimate necessity. This necessity is derived from the verses of the Holy Qur'an calling for contemplation and getting lessons from the history of nations and peoples as stated in Surat *Al- Fath* "This is the established way of Allah which has occurred before and never will you find in the way of Allah any change" (Verse 23). Also، in Surat *Al- Hashr* "they destroyed their houses by their own hands and the hands of the believers. So، take warning، o people of vision" (Verse 2). This conscious reading can hardly be attained unless we possess and control the science and methodology as the West did when they studied the East through establishing orientalism aiming at dismantling our culture then it would become easier to dismantle our nation and this is what happened in fact. Hence، is it possible to establish a kind of science peculiar to us? This science should be like orientalism but with counter objectives and its main task is to defend and discover. This is the main problem controlling the course of this research. The researchers wish they would contribute to create a blog about "Occidentalism" to meet the proposed challenges and sought goals in the light of the contemporary western dominance.

Key words: Occidentalism، West، description، standardization، approach

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مدخـــل:

يتضمن الحديث عن علم الاستغراب جوانب عديدة، يتعلق بعضها بتعريفه ودواعي نشأته، كما يتعلق بعضها بدوافعه وأهدافه، وأخرى بمداراته، ومعوقاته التي تعترضنا ونحن ندرس حضارة الغرب سواء في آدابها، وعلومها، وأديانها، ولغتها، إلى غير ذلك مما يتسع له مجال علم الاستغراب.

مفهوم الاستغراب:

١- ١- الاستغراب في اللغة:

الاستغراب في اللغة هو المبالغة، واستغرب في الضحك، واستغرب: أكثر منه. وأغرب: اشتد ضحكه ولج فيه. واستغرب عليه الضحك، كذلك. وفي الحديث: أنه ضحك حتى استغرب أي بالغ فيه. يقال: أغرب في ضحكه، واستغرب وكأنه من الغرب البعد؛ وقيل: هو القهقهة. وفي حديث الحسن: إذا استغرب الرجل ضحكا في الصلاة، أعاد الصلاة؛ قال: وهو مذهب أبي حنيفة، ويزيد عليه إعادة الوضوء. وفي دعاء ابن هبيرة: أعوذ بك من كل شيطان مستغرب، وكل نبطي مستعرب؛ قال الحربي: أظنه الذي جاوز القدر في الخبث، كأنه من الاستغراب في الضحك، وفي قواميس اللغة أن الغرب يعني البعد، وتغرَّب بعد عن الوطن، والغرب مكان غروب الشمس [١].

ويذهب أحمد سمايلوفتش إلى أن كلمة "استغراب" مأخوذ من كلمة "غرب" وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس، وعلى هذا الأساس يكون الاستغراب هو علم الغرب، وكلمة "المستغرب" تعني الشخص الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها[٢].

(١) - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غرب، ط. بيروت: دار صادر، ج١؛ ص٦٣٦ وما بعده.

(٢) - أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨م، ص٣٧.

ويتبّين من كلام "أحمد سمايلوفتش" السابق أنه يعنى بـ "الاستغراب" علما، دعا الرجل إلى تأسيسه، في مقابل "الاستشراق"، لكنه لم يحرِّر مبانيه، كما فعل "حسن حنفي" في كتابه "مقدمة إلى علم الاستغراب" حتى اقترن هذا العلم به.

والاستغراب عند "حسن حنفي" لا يقصد به التغريب الذي يعني الأخذ بالتقاليد والعادات الغربية، بل بالعكس، فالاستغراب نشأ في مواجهة التغريب الذي امتد أثره كما يعتقد الدكتور حسن حنفي "ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدَّدَ استقلالنا الحضاري، بل امتَّدَ إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة" (١).

وهو معنى أكده في أكثر من موضع كقوله: "الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل، بل والنقيض من" الاستشراق ". فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، يهدف" علم الاستغراب "إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر..." (٢)

ومن ذلك قوله وإذا كان "الاستشراق" قد وقع في التحيز المقصود إلى درجة سوء النية الإرادية والأهداف غير المعلنة، فإن **"الاستغراب"** يعبر عن قدرة الأنا باعتبارها شعورا محايدا على رؤية الآخر ودراسته، وتحويله إلى موضوع، وهو الذي طالما كان ذاتا يحوّل كل آخر إلى موضوع "(٣).

لكن" للاستغراب "معنى آخر ربما استعمله بعض الدارسين حيث قصدوا به الميل إلى الغرب، والتعلق بآدابه وثقافته، وممن استعمل" المصطلح "بهذا المعنى العلامة الأديب" البشير الإبراهيمي

(١) - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م، ص٢٢.

(٢) - المرجع نفسه، ص٢٩.

(٣) - المرجع نفسه، ٣٢.

"في بعض كتاباته في مجلة" البصـائر "[١]، وتابعه في ذلك عبد الله الشـارف في كتبه ومقالاته من ذلك كتابه" الاسـتغراب في الفكر العربي المعاصـر "[٢]، وكتابه الآخر" أثر الاسـتغراب في التربية والتعليم بالمغرب "[٣]. وينبغي أن نشير أن المعنى الثاني غير مراد في هذا المقال.

١-٢- الاستغراب اصطلاحا:

فالاستغراب كمصطلح هو الدراسة النقدية للغرب في ثقافته، وعاداته وتقاليده وآدابه. وإن شئت قلت: " هو الاهتمام بدراسة الغرب من جميع النواحي العقدية، والتاريخية، الجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية "[٤]، وتجربته الحضارية وخصائصه التي تميزه عن غيره من الكيانات الحضارية بهدف كشف بِنية العقلية الغربية.

٢- دواعي علم الاستغراب:

نادى الكثيرون من المفكرين المسـلمين إلى ضـرورة إيجاد علم الاسـتغراب يكون ردا على الاستشـراق ومن هؤلاء" مصـطفى السـباعي "، والدكتور: " حسـن حنفي "لكن للأول فضـل السـبق

(١) – في مذكرة قدمها " مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي " لوزارة المعارف المصرية ولمشيخة الأزهر الشريف وللأمانة العامة لجامعة الدول العربية (بتاريخ جانفي ١٩٥٣م) عَرَض فيها جهود جمعية العلماء الجزائريين، حيث قال: "لولا هذه الجمعية لضاع على العرب نصف عددهم، وهو ثلاثون مليونًا هم سكّان المغرب العربي، وجرفهم تيّار الاستغراب والبربرة، ولولا هذه الجمعية لضاع على المسلمين هذا العدد من الملايين" ينظر: مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب، ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج٤، ص١٦١.

(٢) - د. عبد الله الشـارف، الاسـتغراب في الفكر المغربي المعاصـر، ط١. تطوان: منشـورات نادي الكتاب، المغرب، ٢٠٠٣.

(٣) – د. عبد الله الشـارف، أثر الاسـتغراب في التربية والتعليم بالمغرب، ط١. بتطوان: منشـورات كلية الآداب، ٢٠٠٠م.

(٤) – مازن بن صـلاح مطبقاني، متى ينشـأ علم الاسـتغراب؟، وحدة دراسـات العالم الغربي بمركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية: www.madinacentre.com

بالرغم من أن دعوته كانت نوعا ما أشبه بالأمنية الطيبة، والنية الحسنة منها إلى العلم الدقيق وفي هذا المعنى يقول: " سيأتي يوم ننقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغَرْبِيِّينَ ونقد ما عندهم من دين وعلوم وحضارة، وسيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبناؤنا وأحفادنا مقاييس النقد التي وضعها هؤلاء الغَرْبِيُّونَ، في نقد ما عند هؤلاء الغَرْبِيِّينَ أنفسهم من عقيدة وعلوم، فإذا هي أشد تهافتًا، وأكثر ضعفًا مِمَّا يلصقونه اليوم بعقيدتنا وعلومنا "[١].

ثم يمضي" مصطفى السباعي "قائلا: " تُرَى لو استعمل المسلمون معايير النقد العِلْمِيّ التي يستعملها المُسْتَشْرِقُونَ في نقد القرآن والسُّنَّةِ، في نقد كتبهم المقدسة وعلومهم الموروثة، ماذا كان يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة؟ وماذا يكون فيها من ثبوت[٢] ". وهكذا تظهر روح الثأر في دعوة مصطفى السباعي من عدو عمل جهده على تفكيك ثقافتنا وموروثنا الحضاري.

والحقيقة أن هذه الدعوة أقرب إلى الدعوة إلى الاستشراق معكوسا وهذ ما يتضح من قوله: " تُرى لو استعمل المسلمون في المستقبل معايير النقد العِلْمِيّ التي يزعم المُسْتَشْرِقُونَ أنهم يأخذون بها عند نقد تاريخنا وأئمتنا في نقد تاريخ هذه الحضارة وَمُقَدَّسَاتِهَا وفاتحيها ورؤسائها وعلمائها، أَلاَ يخرجون بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مِمَّا يخرج به المُسْتَشْرِقُونَ بالنسبة إلى حضارتنا وعظمائنا؟ أَلاَ تبدو هذه الحضارة مُهَلْهَلَةً رَثَّةَ الثياب؟ وَأَلاَ يبدو رجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء بصورة باهتة اللون لاَ أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير؟ "[٣].

ويتجلَّى لنا هذا أكثر في النص التالي: " كثيراً ما أتمنى أنْ يتفرغ منا رجال للكتابة عن هذه الحضارة وتاريخ علمائها بنفس الأسلوب الذي يكتب به المُسْتَشْرِقُونَ من تتبع الأخبار الساقطة، وفهم

(١) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط ٢. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩ م، ص٦٤.

(٢) – المرجع نفسه، ص٦٥.

(٣) - المرجع نفسه، ص٦٥.

النصوص على غير حقيقتها، وقلب المحاسن إلى سيئات، والتشكيك في كل خير يصدر عن هؤلاء الغَرْبِيِّينَ، ولو حصل هذا لخرجت منه صورة لهذه الحضارة ولرجالها مضحكة مخزية ينكرها المُسْتَشْرِقُونَ قبل غيرهم، أترى أحداً ينهض منا لهذا العبء، عبء استعمال المقاييس النقدية عند الغَرْبِيِّينَ، بالأسلوب الذي ذكرناه لإعطاء صورة عنهم وعن عقائدهم وعن حضارتهم ليقرأها المُسْتَشْرِقُونَ بأنفسهم، فيروا كيف عادت هذه الطريقة التي زعموا أنهم يستخدمونها لمعرفة "الحقيقة" في تاريخنا وديننا، وَبَالاً عليهم، لعلهم يخجلون - بعدئذ - من استمرارهم في التحريف والتضليل والهدم!. "[١].

ونحن لا نريد أن يكون هذا العلم، مثلما كان الاستشراق، بل نريده أسمى وأشرف وكيف لا وقد أُمرنا بالعدل والقسط ولو على أنفسنا قال تعالى: "يَا أَيُّهَآ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى ٱلاَّ تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "(المائدة، الآية: ٨).

فعلم الاستغراب لا يبغي الهيمنة أو السيطرة، بل يبغي فقط التحرر من أسار الآخر حتى يوضع الأنا والآخر في نفس المستوى من الندية والتكافؤ، كما لا يريد تشويه ثقافات الآخرين، وإن أراد معرفة تكوينها وبنيتها على حد تعبير" حسن حنفي "[٢].

(١) - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، (مرجع سابق) ص٦٥-٦٦.

(٢) - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م، ص٣١. وأيضا: ص٣٢.

٣-وظيفة علم الاستغراب:

الوظيفة الأولى: تفسيرية: ذلك عن طريق الكشف عن مقومات الحضارة الغربية، كشفا موضوعيا مبنيا على التحليل العلمي الموضوعي والاجتماعي، بغية الوصول إلى رؤية دقيقة حولها. مصداق ذلك الآية الشريفة: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "(الحجرات، الآية: ١٣).

الوظيفة الثانية: دفاعية: إن الأساس المعرفي لعلم الاستغراب، هو مقاومة التصورات الغربية حول الإنسان والحياة والطبيعة، إذ أن هناك خلافات جوهرية بين الحضارتين الغربية والإسلامية في هذا المجال. ومهمة هذا العلم الجديد، كما يرى الدكتور حسن حنفي" رد ثقافة الغرب إلى حدودها الطبيعية بعد أن انتشرت خارج حدودها إبان عنفوانه الاستعماري، من خلال سيطرة الغرب على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة. مهمته القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب، ويجعلها مرادفة لثقافته، وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة. فالفن فنه، والثقافة ثقافته، والعلم علومه، والحياة أساليبه، والعمارة طرازه، والعمران نمطه، والحقيقة رؤيته. مع أن الثقافات بطبيعتها متنوعة، ولا توجد ثقافة أم، وثقافات أبناء وبنات. ومن هنا أتت عمليات المثاقفة (Acculturation)التي تحدث عنها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية؛ والتي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي أو التبادل الثقافي أو التثقيف، وهي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري، ولا نمط سواه، وعلى كل الشعوب تقليده، والسير على منواله. وقد أدى ذلك إلى إلغاء خصوصيات الشعوب وتجاربها المستقلة، واحتكار الغرب وحده حق إبداع

التجارب الجديدة والأنماط الأخرى للتقدم "[١]. ولا شك أن الصبغة الدفاعية تبدو جلية في علم الاستغراب الذي نريد أن نؤسس له.

أهداف علم الاستغراب:

يقول الدكتور حسن حنفي أن" مهمة هذا العلم الجديد "علم الاستغراب هي إعادة الشعور اللاأوربي إلى وضعه الطبيعي، والقضاء على اغترابه، وإعادة ربطه بجذوره القديمة، وإعادة توجيهه إلى واقعة الخاص من أجل التحليل المباشر له، وأخذ موقف بالنسبة لهذه الحضارة التي يضعها الجميع مصدر كل علم، وهي في الحقيقة حضارة غازية لحضارة أخري ناشئة نشأة ثانية، أو تعيش عصر إحيائها ونهضتها" [٢]، ويهدف أيضا "إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا (الشرق) والآخر (الغرب)، والجدل بين مركب النقض عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر... " [٣].

ويهدف علم الاستغراب "إلى إقالة الثورات الحديثة من عثراتها، واستكمال عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي، وقبل كل شيء التحرر الحضاري. فطالما أن الغرب قابع في قلب كل منا كمصدر للمعرفة وكإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم والتقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء" [٤].

ومن أهدافه أيضا القضاء على أسطورة الثقافية العالمية التي يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته، وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة ومن ثم القضاء على ثنائية المركز والأطراف على المستوى الثقافي والحضاري "فمهما حاول رجال السياسة

(١) - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب (مرجع سابق)، ص٣٦.

(٢) – المرجع نفسه، ، ص٣١-٣٢.

(٣) – المرجع نفسه، ص٢٩.

(٤) - المرجع نفسه، ص٣٤.

والاقتصاد القضاء على هذه الثنائية في ميدان السياسة والاقتصاد، دون القضاء عليها مسبقا في الثقافة، فإن تبعية الأطراف في السياسة والاقتصاد للمركز قائمة. وطالما أن الثقافة الغربية هي المركز والثقافات اللاغربية في الأطراف ستظل هذه العلاقة أحادية الطرف من المركز إلى الأطراف، علاقة المعلم بالتلميذ، والسيد بالعبد. فالغرب هو المعلم الأبدي، واللاغرب هو التلميذ الأبدي، والعلاقة بينهما أحادية الطرف، أخذ مستمر من الأول، استهلاك دائم من الثاني وإبداع دائم من الأول... " [١].

فعلم الاستغراب مهمته إذن "هو إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوربي والكفة المرجوحة للوعي اللاأوربي. فطالما أن الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعي الأوربي هو الذي يمد الثقافة الإنسانية بنتاجه الفكري والعلمي وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج. وبالتالي يستمر هذا الظلم التاريخي الواقع على الثقافات غير المتميزة في سبيل الثقافة المتميزة" [٢].

كما يهدف هذا العلم إلى "تصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الأوروبية من أجل كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادا، وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العالم.... " [٣].

ولعل من أبرز أهداف الاستغراب: "إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء وأوربا مركز الثقل فيه... إن مهمة مفكرينا وباحثينا عي إعادة صياغة فلسفات التاريخ الأروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خاصة، ولقد صاغت أوربا التاريخ كله بحيث يصب في النهاية في الحضارة

(١) - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب (مرجع سابق)، ص٣٧-٣٨.

(٢) - المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣) - المرجع نفسه، ص٤٠.

الغربية، ووضع الحضارة الغربية في النهاية في مكانها الطبيعي كمرحلة من مراحل تطور الإنسانية التي تكون مرحلة واحدة، مجرد قوس صغير" (١).

فالاستغراب يهدف بطرق سليمة وإيجابية وحضارية إلى انتشال الأنا الحضاري من الاغتراب في الآخر، "فإذا كان **الاستشراق** وقع في التحيز المقصود إلى درجة سوء النية الإرادية، والأهداف غير المعلنة، **فإن الاستغراب** يعبر عن قدرة الأنا باعتبارها شعورا محايدا على، رؤية الآخر، ودراسته وتحويله إلى موضوع. وهو الذي طالما كان ذاتا يحول كل آخر إلى موضوع، ولكن الفرق في هذه المرة هو أن **الاستغراب** يقوم على أنا محايد لا يبغي السيطرة، وإن بغى التحرر، ولا يريد تشويه ثقافات الآخر وإن أراد معرفة تكوينها وبنيتها" (٢).

وإذا ما تأسس علم **الاستغراب** "فستعيش الإنسانية عصرا جديدا يختفي منه داء العنصرية الدفين الذي نشأ أبان تكوين الوعي الأوروبي حتى أصبح جزءا من بنيته، وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض بعد أن عانت الإنسانية من حربين أوربيتين في المركز والمحيط على السواء بينهما عشرون عاما! " (٣).

إن هذ العلم يعد في الحقيقة "تغيير جذري في الوعي الإنساني، إذ يرى الوعي الأوروبي حدوده، كما يرى الوعي اللاأروبي إمكاناته فلعل كل منهما يصل إلى منتصف الطريق لخلق وعي إنساني جديد" (٤).

(١) - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب (مرجع سابق)، ص٤٢.

(٢) - المرجع نفسه، ص٣٢.

(٣) - المرجع نفسه، ص٥٦.

(٤) - المرجع نفسه، ص٥٦.

٥- ماهية الغرب:

إن الغرب ككيان له رؤى اجتماعية وسياسية أمر واقع لا يمكن مدافعته، وهو بحاجة إلى أن يُدرس، وبخاصة أن تأثيره امتد إلى كل أصقاع العالم بحكم أنه الأقوى، ويعرفنا قانون الاجتماع البشري "إن الأمم والمدنيات التي هي أخصب من الناحية السياسية الاقتصادية، تترك على الأمم، التي هي أضعف منها في الحيوية، روعة وتؤثر فيها من الناحية، الثقافية والاجتماعية من غير أن تتأثر هي نفسها بها" (١).

ومن وجهة نظر المؤرخ الناقد كما يرى المفكر الإسلامي الكبير "محمد أسد" بحق: "فإن الأثر القوي ذا الاتجاه الواحد الذي يمليه التمدين الغربي على العالم...، لا يدعو إلى الدهشة مطلقا لأنه نتيجة تطور تاريخي له أشباه كثيرة في أماكن أخر" (٢).

ولا شك أن العالم بأسره خاضع للمفاهيم الغربية، والرؤى الغربية في الكون والحياة والإنسان، وهذا ما يدعو الغيورين إلى محاولة اكتناه هذه الحضارة المتغلبة، والمؤثرة على حياة الناس في نواح عديدة، والكشف عن شبكة المفاهيم والآليات التي تفرزها، فربما يدفعنا هذا الفهم الجيد لها، لسلوك أفضل حيالها، وهذا – ولا شك – يؤسس لمنهجية خاصة نحوها.

٦- مدارات علم الاستغراب:

٦-١ - دراسة الفكر الأوربي وعلم الاستغراب: فالاطلاع على الغرب ودراسته من كل النواحي الفكرية، وفهم منظومته القيمية، يمنحنا قدرة على فهم رؤيتنا الكونية الخاصة، وكما استعاد الأوروبي وعيه بذاته من خلال الآخر الشرقي، فنحن مدعوون أيضا إلى الاستفادة من هاته المنهجية للقيام بهذا التعديل الثقافي. بدلا من هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي، والكفة المرجوحة للوعي الإسلامي. وبخاصة

(١) – محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، ط بيروت: دار العلم للملايين (د. ت)، ص٢٢.

(٢) – المرجع نفسه، ص٢٢.

أن العالم كله خاضع من حيث يدري أو لا يدري سواء من حيث نمط الحياة أو على مستوى النظريات الاقتصادية والثقافية، للنمط الغربي.

٦- ٢- **دراسات المستشرقين وعلم الاستغراب**: لا شك أن الاستشراق طريق من الطرق المؤدية إلى معرفة الغرب، ذلك لأن هذا العلم يكشف عن العقل **الغربي** في حد ذاته، أكثر مما يكشف عن الموضوع المدروس (الذي هو الشرق)،

٦-٣- **كتابات المهتدين إلى الإسلام وعلم الاستغراب**: إن دراسة كتب المفكرين الغربيين المهتدين للإسلام، من أمثال: "رونية غيون" وبخاصة في كتابيه: "أزمة العالم الحديث"، و"هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان"، و"محمد أسد" في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق"، و"رجاء غارودي" في كتابيه: "الإسلام الحي" و"وعود الإسلام"، "ومراد هوفمان" في كتابه "الإسلام كبديل"، و"مريم جميلة في كتابها: " الإسلام بين النظرية والتطبيق "، إن هاته المؤلفات تسمح بالتعرف على نقاط ضعف الحضارة الغربية ومآزقها، وما أنتجته من دمار للأخلاق والفضيلة والإنسانية والبيئة، وقد اتخذ هؤلاء من ابتعاد الغرب عن المعنى، وسيلة للإجهاض على هاته الحضارة المادية، التي لا تحتل مكانة مميزة في تاريخ حضارات العالم، بل إن المشكلات التي تتهدّدها ستطيح بها في المآل. ورحم الله" محمد إقبال "حينما قال: " يا ساكني ديار الغرب. ليست أرض الله حانوتًا. إن الذي توهمتموه ذهبًا خالصًا سترونه زائفًا، وإن حضارتكم ستبخع نفسها بخنجرها؛ إن العش الذي يبنى على غصن دقيق لا يثبت ".

٦- ٤- **دراسات الغرب الناقد لنفسه وعلم الاستغراب**: بعد الانتقادات التي وجهها كلا من" إدوارد سعيد "للدراسات الاستشراقية وبخاصة في كتبه: " الاستشراق أو مفاهيم الغرب للشرق "[١]، و" تغطية الإسلام "و" الثقافة والإمبريالية "، وكذلك" أنور عبدالملك "في مقالته الشهيرة التي نشرها في مجلة" ديوجين "مما أوقع الدراسات الاستشراقية في أزمة كادت تعصف به، ظهرت محاولات أخرى ناقدة

(١) - إدوارد سعيد، الاستشراق أو مفاهيم الغرب للشرق، تر: محمد عناني، ط١. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع٢٠٠٦م.

للغرب ولكن من داخله من قبل مستشرقين ومفكرين نذكر من بينهم: المستشرق" مكسيم رودنسون "، و" جاك بيرك "، والمفكر الناقد" نعوم تشومسكي "في كتبه: " إعاقة الديمقراطية والولايات المتحدة والديمقراطية "[1]، وقد نشر الكتاب عن مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٢م، و" نعوم تشومسكي "الذي من كبار المحفزين" لإدوارد سعيد "من أجل أن يخرج للناس بكتابه الأشهر" الاستشراق "، وكذلك" "إيف لاكوست"، و"روجر أوين" الذي يعد من كبار نقاد الاستشراق والعولمة حيث سعى من خلال كتبه الجادة والمتميزة، ومحاضراته الرصينة على بث روح ناقدة في أجيال عديدة من دارسي الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

٦- ٥- **دراسات الأقليات المسلمة في الغرب**: إن عدد المسلمين في الغرب في تزايد ونمو مطرد، وإذا أردنا أن نقرأ الخارطة جيدا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار المجموعات الإسلامية داخل الغرب سواء المجموعات المسلمة التابعة للأصول الأوروبية مثل الألبان والبوسنيين، ولعل فيما يكتبه "علي عزت بيجوفيتش" رافد مهم لعلم الاستغراب وبخاصة كتابه الذائع الصيت "الإسلام بين الشرق والغرب". أو المجموعات التي تتكون من المهاجرين وأبنائهم الذين قضوا فترة طويلة داخل المجتمعات الغربية من أمثال مالك بن نبي الذي عاش أكثر من ثلاثين سنة في فرنسا ورجاء إسماعيل الفاروقي الذي قضى شطرا من عمره في أمريكا، وكذلك سيد حسين نصر الإيراني الأصل، أو إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية، أو الذين ولدوا هناك، من أمثال بشير سليمان دايان السينغالي الأصل الأمريكي الجنسية، أو في صورة الذين تركوا دينهم ودخلوا الدين الإسلامي من أمثال رجاء غارودي، وداود غريل، ومحمد أسد. فهؤلاء يشكلون جسرا للتواصل بين دار الإسلام والغرب الذي يعتبرونه وطنهم. وهذا يساهم – ولا شك- في إقامة العلاقات بين الطرفين.

(١) – نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية والولايات المتحدة والديمقراطية، ط٢. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.

٦- ٦- **المشترك بين الأديان الكتابية وعلم الاستغراب**: ومن روافد علم الاستغراب أيضا، المشترك بين الأديان الكتابية، ولا نقصد من دراستنا هذه ما يقصد من دراسات علم الأديان، فذاك تخصص قائم بذاته، وإنما نعني الانتباه لما له علاقة بالاستغراب الديني ويتجلّى في المشترك الديني بين هاته الأديان الكتابية، والقرآن الكريم أتى مصدقا لما في الكتب السماوية، كما أتى مهيمنا عليها قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ" (المائدة: الآية: ٤٨).

وهناك كتابات واعدة في هذا المجال نخص منها مساهمات الدكتور عبد الراضي محمد عبدالمحسن في كتابيه: "المعتقدات الدينية لدى الغرب" [١]، وكذلك "ماذا يريد الغرب من القرآن"[٢]، حيث ذكر أن هذه الدراسة هي الأولى في مشروع وصفه بقوله: الحلقة الأولى في مشروعي البحثي (دراسات الغرب والإسلام)' ومساهمات الدكتور: "أحمد محمود هويدي" في كتابه "نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي" [٣]، وأيضا يمكن أن نلحظ هذا في كتابات الدكتور "محمد خليفة حسن" الكثيرة والمتنوعة في هذا الصدد.

ويمكن أن يلحظ هذا المشترك في عدة مجالات:

مجال القصص الديني: ومن الأشياء التي وقع التشابه بين الأديان الكتابية الثلاث قصص الأنبياء حتى زعم نفر من المستشرقين أن القرآن مستعار من العهدين القديم والجديد بسبب هذا التشابه، ونحن لا نريد هنا تفنيد هذا الزعم، لكن حسبنا الإشارة إلا أن هذا التشابه دليل على وحدة المصدر، ومع بعض الفروق

(١) - عبد الراضي محمد عبد المحسن، المعتقدات الدينية لدى الغرب، ط١. الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠٠١م.

(٢) - عبد الراضي محمد عبد المحسن، ماذا يريد الغرب من القرآن، ط١. الرياض: منشورات مجلة البيان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣) - أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ط١. القاهرة: دار رؤية: ٢٠١٤م.

التي رصدناها في أهداف ورود القصص بين القرآن وغيره من الكتب السماوية الأصل، إلا أن المشتركات كثيرة لا تخطئها العين وبخاصة في قصص نوح وإبراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان إذ أن هؤلاء مبجلون في كل الأديان السماوية.

ففي سفر التكوين: "هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ.. فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ.. فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ. وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. ٢٠مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا. وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا». فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ" [(١)].

وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ"[(٢)].

وفي القرآن نجد قوله جلَّ وعلا: " فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ "، (المؤمنون، الآية: ٢٧) وقال أيضا: " فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ "(يونس، الآية: ٧٣).

وثمة مثال آخر يمكن أن نأخذه على مدى التشابه بين القرآن والإنجيل، ذلك هو مشهد قصة زكريا ومما يروى في الإنجيل: " كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا،

(١) - سفر التكوين، الإصحاح ٦، الفقرات: ٩ -٢٢.

(٢) – سفر التكوين، الإصحاح ٧، الفقرة: ١.

وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ، سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ.

وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبَخُورِ. فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا». فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟ "فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ، وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هذَا، لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ». وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتًا" [(١)].

أما القرآن الكريم فيذكر عن زكريا: "ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا قَالَ رَبِّ

(١) - إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، الفقرات: ٥-٢٢.

اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا". (مريم، الآيات: ٢-١١).

مجال القيم الأخلاقية: وثمة مجال آخر يمكن أن نلحظ فيه هذا التشابه بأجلى صوره، وهو مجال القيم الأخلاقية ولعل في الوصايا العشر خير شاهد على ما نقول: والوصايا العشر التي أمر بها الله الشعب في هي:

١- لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.

٢- لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ.

٣- لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا.

٤- أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.

٥- أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.

٦- لاَ تَقْتُلْ.

٧- لاَ تَزْنِ.

٨- لاَ تَسْرِقْ.

٩- لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.

١٠- لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ. (١)

وفي الإنجيل نقرأ الحوار الذي دار بين أحد علماء الناموس من اليهود ويسوع المسيح: وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلا: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس. فقال له يسوع تحب

(١) -سفر الخروج، الإصحاح ٢٠.

الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء(١).

وهذه المعاني نفسها هي ما نجده في القرآن، كما جاء ذلك في سورة الأنعام: "قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، (الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣).

وهذا المثال قصد به بيان قوة الاتفاق والارتباط بين الأديان السماوية لا الحصر. وإلا فإن كل الأديان حرصت على الحياء ودعت إلى العفاف والحشمة.

مجال انتقادات الإسلام للعقائد الكتابية: وإذا كان القرآن الكريم مصدق لما قبله من الكتب، فإنه في الوقت نفسه مهيمن عليها قال تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ"، (المائدة، الآية: ٤٨). وقوله جل وعلا: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"، (النمل، الآية: ٧٦). فمهمة علماء الاستغراب نقد المنقول من التوراة والإنجيل في ضوء النص القرآني، وبيان تهافته مع الوقائع التاريخية والكونية من ذلك إمكان التطرق لثلاث قضايا حساسة لدى النصارى وهي ذات علاقة بالمسيح عليه السلام حيث ينكر القرآن فكرة الثالوث المقدس، وينكر صلب المسيح وينكر أن المسيح هو ابن الله، حيث الافتراق الواضح في هذه القضايا الثلاث بين المعتقد النصراني والمعتقد الإسلامي.

(١) - متى، الإصحاح ٢٢، الفقرات: ٣٥-٤٠.

ولا بأس من مناقشة هاته القضايا مادامت تبحث بمنظور علمي ينشد كلمة سواء. قال تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"، (آل عمران، الآية: ٦٤).

وما خالفهم القرآن فيه لازال عند النصارى محل بحث وجدل ليس بينهم وبين المسلمين فحسب، بل فيما بينهم.

ولا شك أن هذه الموضوعات هي التي يمكن أن ينظر إليها على أنها موضوعات الدراسات الاستغرابية من الزاوية الدينية.. مع توكيد قوي على الدراسة العلمية الموضوعية، ذات الإمكانية في القبول في العصر الراهن، وهذا النقد الموضوعي لا يعود بالنفع على المسلمين فقط، بل يعود بالنفع الأعم على الأمم الأخرى[1].

مجال تأثير الإسلام على الطوائف المنشقة: من أمثال فرقة "النصارى الموحدون" وهاته الفرقة متأثرة إلى حد بعيد بالإسلام وهم لا يعترفون بألوهية المسيح، ويرون أنه عبد صالح وتسمى هذه الطائفة بطائفة الـ"unitarian"، ومذهبهم Unitarianism "".

مجال الحوار المسيحي الإسلامي: والحوار بين أهل الأديان المختلفة يهدف إلى شيئين اثنين:

أ- **تحقيق التعايش مع أهل الأديان والثقافات الأخرى**: بحيث تسود الأخوة الإنسانية بين الجميع، ويعم العدل والقسط بين أصحاب الوطن الواحد مهما اختلفت أديانهم وألوانهم، وشعائرهم ونحلهم، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات.

ب- **بناء المشترك الإنساني مع الآخر**: ودعم سبل التعايش المشترك، وتحقيق المصالح الإنسانية المشتركة.

(١) - علي إبراهيم النملة، الاستغراب في فهمنا للغرب في رؤيا تأصيلية، ط١. الرياض: كتاب المجلة العربية ٢٢٣، ١٤٣٦ هـ، ص٧٠.

٦-٧- **تاريخ العلوم الغربية وعلم الاستغراب**: كما اهتم المستشرقون بالعلوم الإسلامية ونجد ذلك عند" بول كراوس "الذي اهتم بجابر بن حيان، و" جورج سارطون "الذي ألف في تاريخ العلوم عند المسلمين، فإننا نجد بالمقابل علماء مسلمين اهتموا بتاريخ العلوم الغربية من أمثال: الدكتور راشدي راشد الذي تتميز كتاباته بالعمق والطرافة وهو يبزُّ في هذا المجال كبار المحققين الغربيين وقد حقق الرجل مخروطات" أبولونيوس "وقام بشرحها، وله مؤلف قيِّم حول" ديوفنطس "، وله كذلك أعمال حول العلوم الأوروبية، منها كتاب حول الثورة الفرنسية، وآخر حول ديكارت (Descartes)، وكتاب آخر حول كوندورسيه (Condorcet)، وشارك في إصدار كتاب حول فيرما (Pierre Fermat)[1].

٦-٨- **الرحلات الـشرقية وعلم الا ـستغراب**: وتعتبر كتب الرحلات إلى الغرب مصـــدرا مهما لعلم الاستغراب، وبخاصة إذا تضمنت وصفا لأحوال الغربيين، أو نقدا لأوضاعهم، وتكاد هاته الرحلات تتفق في فكرة مركزية، هي نفسها التي حملها كل مفكر في العالم الإسلامي، فقد لاحظ هؤلاء الرحالة تقدم الأمم وتأخر أمتهم وحاول كل واحد منهم، التعرف على السنن التي تحكم التطور والانحطاط في حياة الأمم ليصـــلوا إلى أن هناك ســـننا للنهوض، وأخرى للنكوص، وللوصـــول إلى ذلك لا بد من الاتعاظ والاستفادة من تجارب الأمم خصوصا تلك المحيطة بالعالم الإسلامي. وهذا التفتح على الآخر إلى جانب ضرورته المنهجية هو أيضا ضرورة عملية، والتراث العربي يزخر بكم هائل من هذه الرحلات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) - نقولا فارس، تاريخ العلوم العربية مشروع رشدي راشد نموذجا، مقال منشور ضمن كتاب الثقافة العربية في القرن العشرين- حصيلة أولية- تحت إشراف عبد الإله بلقزيز، ط٢. بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م، ص٧٢٤.

-" **تلخيص الإبريز في أخبار باريز** "لرفاعة رافع الطهطاوي[١] (١٨٠١- ١٨٧٣م)، كان رفاعة إماما لطلبه البعثة - العلمية الأولى إلى باريس كان عام (١٨٢٦)، يؤمهم في الصلاة ويعظهم ويرشدهم حتى عام (١٨٣١م) لكن في نفس الوقت بهرته الحضارة الأوربية، فعكف على دراسة اللغة الفرنسية ثم اتجهت ميوله إلى دراسة التاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الفرنسية.. وبدأ يقارن بين ما عندنا وما عند الغرب وأخذ يبحث في أسباب التخلف والتأخر، كما تحدّث فيها عن طبيعة الحياة الاجتماعية لأهل باريس ودروبهم الأدبية والفنية، وعن صفاتهم وطبائعهم، من حب للمعرفة وحب التغيير وحب المغامرة ومعرفة الغرباء ونزوعهم إلى العدل والمساواة وحب العمل واحترامهم للنساء وتقديرهم لهن. ومما جاء في الرحلة المذكورة:

" أعلم أن الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل، ودقة الفهم وغوص ذهنهم في العويصات، وليسوا مثل النصارى القبط، في أنهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة، وليسوا أسراء التقليد أصلاً، بل يحبون دائماً معرفة أصل الشيء والاستدلال عليه، حتى إن عامتهم أيضاً يعرفون القراءة والكتابة، ويدخلون مع غيرهم في الأمور العميقة، كل إنسان على قدر حاله، فليست العوام بهذه البلاد من قبيل الأنعام كعوام أكثر البلاد المتبربرة.. "[٢].

" ومن طباعهم المهارة والخفة، فإن صاحب المقام قد نجده يجرى في السكة كالصغير، ومن طباعهم أيضاً الطيش والتلون، فينتقل الإنسان منهم عن الفرح إلى الحزن وبالعكس، ومن الجد إلى الهزل وبالعكس، حتى إن الإنسان قد يرتكب في يوم واحد جملة أمور متضادة، وهذا كله في الأمور الغير المهمة، وأما في الأمور المهمة، فآراؤهم في السياسات لا تتغير، كل واحد يدوم على مذهبه

(١) - الأب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، (١٨٠٠-١٩٢٥)، ط٣. بيروت: دار المشرق، ١٩٩١م، ج٢، ص١٣٤. أحمد أمين، فيض الخاطر، ط ١. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤م، ج٥، ص٦٩-١١٣.

(٢) - رفاعة رافع الطهطاوي، تلخيص الإبريز في أخبار باريز، ط القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر (د. ت)، ص٨٣.

ورأيه، ويؤديه مدة عمره، ومع كثرة ميلهم إلى أوطانهم يحبون الأسفار، فقد يمكثون السنين العديدة والمدة المديدة، طوافين بين المشرق والمغرب، حتى إنهم قد يلقون أنفسهم في المهالك، لمصلحة تعود على أوطانهم "[١].

".. ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة، حسان المسايرة والملاطفة، يتبرجن دائمًا بالزينة، ويختلطن مع الرجال في منتزهات. وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال في تلك المحال، سواء الأحرار وغيرهن، خصوصًا يوم الأحد الذي هو عيد النصارى، ويوم بطالتهم، وليلة الاثنين في (البارات) والمراقص.. "[٢].

مقتطفات من خلال كتابته لمواد الدستور في باريس وقتها:

♦ قوله في المادة الأولى: " سائر الفرنسيس مستوون قدام الشريعة، معناه سائر من يوجد في بلاد فرنسا من رفيع ووضيع لا يختلفون في إجراء الأحكام المذكورة في القانون، حتى إن الدعوى الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره، فأنظر إلى هذه المادة الأولى، فإنها لها تسلطًا عظيمًا على إقامة العدل وإسعاف المظلوم، وإرضاء خاطر الفقير بأنه كالعظيم؛ نظراً إلى إجراء الأحكام "[٣]

♦ ومن الأشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنساوية" أن كل إنسان يتبع دينه الذي يختاره يكون تحت حماية الدولة ويعاقب من تعرض لعابد في عبادته. ولا يجوز وقف شيء على الكنائس أو إهداء شيء لها إلا بإذن صريح من الدولة. وكل فرنساوي له أن يبدى رأيه في مادة السياسات، أو في مادة الأديان، بشرط أن لا يخل بالانتظام المذكور في كتب الأحكام "[٤].

(١) – رفاعة رافع الطهطاوي، تلخيص الإبريز في أخبار باريز، (المرجع نفسه)، ص٨٤.

(٢) – المرجع نفسه، ص٩٠.

(٣) - المرجع نفسه، ص١١٣.

(٤) - المرجع نفسه، ص١١٦.

- **" تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا "**[١] للشيخ محمد عياد الطنطاوي، وهو كتاب يجمع بين السيرة الذاتية وأدب الرحلة، وقد طبع حديثا بعنوان: " رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية ". وما يهمنا في هاته الرحلة التي وثَّق فيها الطنطاوي تجربته، هو وعيه التام بالمهمة التي ندب نفسه لها، وهو نقل تجارب النهضة الأوروبية إلى العالم الإسلامي، ودراستها بكل دقائقها كموضوع للبحث، ويتجلى هذا في الباب الثالث الذي رصد فيه أحوال المجتمع الروسي، وعاداته، وأخلاقه، وملابسه، وأعياده، وخطوطه، وتقدمه في العلوم والفنون مما يؤكد وعي الشيخ الطنطاوي بأهمية علم الاستغراب ولعل هذا النص من رسالته إلى رفاعة الطهطاوي يكشف جانبا من هذا إذ يقول: " أنا مشغوف بكيفية معيشة الأوروبيين، وانبساطهم وحسن إدارتهم وترتيبهم، خصوصا ريفهم وبيوتهم المحدقة بالبساتين والأنهار إلى ذلك مما شاهدتهم قبلي بمدة في باريز إذ بتر بورغ لا تنقص عن باريز في ذلك، بل تفوقها في أشياء كاتساع الطرق "[٢].

" كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "كتبه الوزير" خير الدين التونسي "[٣](١٨١٠- ١٨٩٠)، ظهر الكتاب عام (١٨٦٧م). يحتوي الكتاب على مقدمة، وهي أهم ما في الكتاب لاحتوائها على برنامجه الإصلاحي، ثم يتطرق" خير الدين التونسي "إلى وصف عشرين بلد أوربي، دون أن ينسى الدولة العثمانية، وكان قد زار هذه المناطق ما بين) ١٨٥٣ و١٨٦٧) في بعثات ومهمات دبلوماسية.

(١) - محمد عياد الطنطاوي، "رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية"- ١٨٤٠-١٨٥٠م، المساة"تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا"، قدم لها: محمد عيسى صالحية، دمشق: مؤسسة الرسالة: ١٩٩٢م.

(٢) - المرجع نفسه، ص٢٢.

(٣) - - الأب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، (١٨٠٠- ١٩٢٥)، (مرجع سابق)، ط٣. ج٢، ص١٥١. وأوفى ترجمة عن آرائه: سهام شابي، الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي -١٨٨١٠- ١٨٩٥م، من خلال كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مذكرة مقدمة لشهادة الماستر، غير منشورة، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية الإنسانية، جامعة الوادي، ٢٠١٤م.

ويرى" الأب لويس شيخو "أن هذا الكتاب هو: " أجود كتاب وضعه أحد الشرقيين في وصف الممالك الأوروبية وتعريف أحوالها المدنية مع لمحة من تواريخها "[١].

ويحدد خير الدين التونسي الباعث الأصلي الذي حدا به إلى تأليف الكتاب في وجهين وفي هذا المعنى يقول: " **أحدهما**: إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة الإسلامية وتنمية أسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي أسباب البطالة وأساس جميع ذلك حسن الإمارة المتولد منه الأمن المتولد منه الأمل المتولد منه إتقان العمل المشاهد في الممالك الأوربية بالعيان وليس بعده بيان "[٢].

ويربط خير الدين التونسي هنا بين حالة التقدم الموجودة في الغرب وأسبابها وهي هنا العلوم والعرفان والزراعة والتجارة والصناعات والعمل، وحالة التخلف الموجودة في الشرق وأسبابها، ويرى خير الدين التونسي أنه لا يمكن تحقيق النهضة في هذه المجالات إلا بتوفر الأمن الذي يدفع إلى العمل المتقن.

" **ثانيهما**: تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السَّير والتراتيب ينبغي أن يهجر وتآليفهم في ذلك يجب أن تنبذ ولا تذكر "[٣].

---

(١) - الأب لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، (١٨٠٠-١٩٢٥)، (مرجع سابق)، ط٣. ج٢، ص١٥١.

(٢) - خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، ط١. القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠١٢ م، ص١١.

(٣) - المرجع نفسه، ص١١-١٢.

ويرى خير الدين التونسي أن أهم فوائد ملاحظاته: " تذكير العلماء الإعلام بما يعينهم على معرفة ما يجب اعتباره من حوادث الأيام، إيقاظ الغافلين من رجال السياسة وسائر الخواص والعوام "[١].

ويكون ذلك حسب خير الدين التونسي من خلال: " بيان ما ينبغي أن تكون عليه التصرفات الداخلية والخارجية، وذكر ما تتأكد معرفته من أحوال الأمم الإفرنجية خصوصا من لهم بنا مزيد اختلاط وشديد علقة وارتباط. مع ما أولعوا من صرف الهمم إلى استيعاب أحوال سائر الأمم واستسهالهم ذلك بطي مسافات الكره "[٢].

ويفصل خير الدين التونسي في تبيان المنهجية التي اتبعها فيقول: " جمعت بعض ما استنتجته منذ سنين بأعمال الفكر والروية مع ما شاهدته أثناء أسفاري للبلدان الأوروباوية "[٣].

والواقع أن هذا الكتاب يعد من روافد علم الاستغراب لأن صاحبه نادى بوضوح تام بضرورة الاقتباس من الغرب في حدود الشريعة الإسلامية، وهذا ما وضحه أكثر بقوله: " فإن الأمر إذا كان صادرا من غيرنا وكان صوابا موافقا للأدلة لاسيما إذا كنا عليه وأخذ من أيدينا فلا وجه لإنكاره وإهماله، بل الواجب الحرص على استرجاعه واستعماله. كل متمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالا في ديانته فذلك لا يمنعه من الاقتداء فيما يستحسن في نفسه من أعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية كما تفعله الأمة الإفرنجية "[٤].

وفي هذا المعنى يقول: " فإن الأمر إذا كان صادرا من غيرنا وكان صوابا موافقا للأدلة، لاسيما إذا كنا عليه وأُخذ من أيدينا، فلا وجه لأنكاره وإهماله، بل الواجب الحرص على استرجاعه واستعماله. وكل متمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالا في ديانته، فذلك لا يمنعه من الاقتداء به فيما يستحسن من أعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية كما تفعله الأمة الإفرنجية، فإنهم مازالوا يقتدون بغيرهم في كل ما

(١) - خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، (مرجع سابق)، ص٥.

(٢) - المرجع نفسه، ص٥-٦.

(٣) - المرجع نفسه، ص٥.

(٤) - المرجع نفسه، ص١٢.

يرونه حسنا من أعماله حتى بلغوا الغاية في استقامة نظام دنياهم إلى ما هو مشاهد. وشأن الناقد البصير تمييز الحق بمسبار النظر في الشيء المعروض عليه، قولا كان أو فعلا، فإن وجده صوابا قبله واتبعه سواء كان صاحبه من أهل الحق أو من غيرهم؛ فليس بالرجال يعرف الحق، بل بالحق تُعرف الرجال. والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها "[١]

وهكذا يفتح خير الدين الباب للاستفادة من خبرات الآخرين لصالح الأمة الإسلامية مع الحرص على أن تؤدي تلك الأفكار المقتبسة دور المصل في الجسم، أما إذا أدت إلى نتيجة سلبية، فتصبح تلك الأفكار أفتك في المحيط الذي اقتبسها، وهذا ما طبقته أوربا مع الحضارة الإسلامية حيث أخذت ما يتلاءم مع رؤيتها وحضارتها وقيمها الخاصة.

وإذا شكك البعض في ديانة الآخر، فإن هذا لا ينبغي أن يصرفنا عن الاستفادة مما بأيديهم من تجارب وخبرات في الأمور الدنيوية التي لا تؤثر في ديانة المتدين، وهذا ما قام به المسلمون الأوائل، ويدلل خير الدين التونسي على ذلك بعدة شواهد كمثل استفادة الصحابة من التجربة الفارسية في غزوة الخندق، والأخذ بالمنطق في الحضارة الإسلامية وغيرهما [٢].

٧-**معوقات علم الاستغراب**: إن من المعوقات الكبرى التي يواجهها الاستغراب هو أنه يعمل وفق ذهنية لا تعترف بالآخر، وهذا ما نبَّه إليه خير الدين التونسي عندما تحدث عن بواعثه الأصلية في تأليف" كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "حيث قال في مقدمته: " تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السَّير والتراتيب ينبغي أن يهجر وتآليفهم في ذلك يجب أن تنبذ ولا تذكر "[٣].

(١) - خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، (مرجع سابق)،، ص١٢.

(٢) - المرجع نفسه، ص١٢.

(٣) - المرجع نفسه، ص١١-١٢.

أما **المعوِّق الثاني** فهو قضية المعيار الذي على أساسه نأخذ وندع سواء كان المعروض علينا، قولا كان أو فعلا. وهو ما أشار إليه خيرالدين التونسي بقوله: " فإذا ساغ للسلف الصالح أخذ مثل المنطق من غير ملتهم، وترجمته من لغة اليونان؛ لما رأوه من الآلات النافعة، حتى قال الغزالي: من لا معرفة له بالمنطق لا يوثق بعلمه، فأي مانع لنا اليوم من أخذ بعض المعارف التي نرى أنفسنا محتاجين إليها غاية الاحتياج في دفع المكائد وجلب الفوائد "[1]، وهذه العملية ليست يسيرة بل شاقة وعسيرة وهذا ما نبه إليه محمد أسد بقوله: " فإذا امتدت مدنية أجنبية بشعاعها إلينا وأحدثت تغييرا في جهازنا الثقافي- كما هو الحال اليوم- وجب علينا أن نتبين لأنفسنا إذا كان هذا الأثر الأجنبي يجري في اتجاه إمكانياتنا الثقافية أو يعارضها، وما إذا كان يفعل في جسم الثقافة الإسلامية فِعْلَ المصل المجدد للقوى أو فعل السمّ "[2].

والسؤال الذي يواجهنا هو ماهي المعايير التي نقيس بها هذا الأثر الأجنبي ونعرف ملائمته لحضارتنا، أو غير ملائمته لها؟

إن من العسير، بل من الخطأ أن ننظر من زاوية واحدة، وبمقياس واحد. ذلك لأن الحضارة الإنسانية متشعبة ومعقدة. وهذه صعوبة أخرى يواجهها الدارس في علم الاستغراب.

وبالرغم من هذه المعوقات فإننا نوصي بالاهتمام بهذا العلم، والكتابة فيه وتوجيه الباحثين الى دراسة هذا التخصص وتدريسه لطلبة الجامعات.

(١) - خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، (مرجع سابق)، ص١٢-١٣.

(٢) - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، (مرجع سابق)، ص٢٢.

الخاتمة وأهم النتائج

وتأسيسا على كل ما سبق من محاور البحث المختلفة يمكن الخروج بالنتائج الأتية:

- يُعد علم الاستغراب من الضرورات الحضارية التي لا مناص منها من اجل معرفة الآخر، ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم والمنهجية.
- لا يهدف الاستغراب الى السيطرة وتشويه الآخر، بل يهدف الى أسار الآخر من في نفس المستوى من الندية.
- يهدف الاستغراب الى إعادة التوازن الحضاري للثقافة الإنسانية.
- من المعوقات الكبرى التي تواجه الاستغراب هو أنه يعمل وفق ذهنية الماضي التي لا تعترف بالآخر.

فهرس المصادر والمراجع

ابن منظور، (جمال الدين).

١ – لسان العرب، مادة غرب، ط. بيروت: دار صادر، ج١؛ ص٦٣٦ وما بعده.

سمايلوفتش، (أحمد).

٢ – فلسفة الاستشراق، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨م، ص٣٧.

حنفي، (حسن)

٣– مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م، ص٢٢.

الإبْرَاهِيمِي، (مُحَمَّد البَشِير).

٤ – آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِـير الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد طالب، ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الشارف، (عبد الله)

٥ – الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر، ط١. تطوان: منشورات نادي الكتاب، المغرب، ٢٠٠٣.

٦ – أثر الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب، ط١. بتطوان: منشورات كلية الآداب، ٢٠٠٠م.

المطبقاني، (مازن بن صلاح).

٧– متى ينشـأ علم الاسـتغراب؟، وحدة دراسـات العالم الغربي بمركز الملك فيصـل للبحوث والدراسات الإسلامية، www.madinacentre.com.

٨– الغرب من الداخل– دراسات للظواهر الاجتماعية – ط٢. الرياض: السعودية، ٢٠٠٥م.

السباعي، (مصطفى)

٩– الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط ٢. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩ م.

محمد أسد.

١٠- الإسلام على مفترق الطرق، تر: عمر فروخ، ط بيروت: دار العلم للملايين (د. ت)، ص٢٢.

إدوارد سعيد.

١١-الاستشراق أو مفاهيم الغرب للشرق، تر: محمد عناني، ط١. القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع٢٠٠٦م.

تشومسكي، (نعوم)

١٢- إعاقة الديمقراطية والولايات المتحدة والديمقراطية، ط٢. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م.

عبد الراضي محمد عبدالمحسن

١٣ - المعتقدات الدينية لدى الغرب، ط١. الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠٠١م.

١٤- ماذا يريد الغرب من القرآن، ط١. الرياض: منشورات مجلة البيان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

هويدي، (أحمد محمود).

١٤- نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ط١. القاهرة: دار رؤية: ٢٠١٤م.

١٥ - سفر التكوين.

١٦- إنجيل لوقا.

١٧- سفر الخروج.

١٨- متى.

علي إبراهيم النملة

١٩-الاستغراب في فهمنا للغرب في رؤيا تأصيلية، ط١. الرياض: كتاب المجلة العربية ٢٢٣، ١٤٣٦ هـ، ص٧٠.

٢٠- مناحي التأثر والتأثير بين الثقافات – المثاقفة بين شرق وغرب –، ط٢. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

٢١- نقولا فارس، تاريخ العلوم العربية مشروع رشدي راشد نموذجا، مقال منشور ضمن كتاب الثقافة العربية في القرن العشرين- حصيلة أولية- تحت إشراف عبد الإله بلقزيز، ط٢. بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م.

شيخو، (الأب لويس).

٢٢- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، (١٨٠٠- ١٩٢٥)، ط٣. بيروت: دار المشرق، ١٩٩١م..

أحمد أمين.

٢٣- فيض الخاطر، ط ١. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٤م، ج٥، ص٦٩-١١٣.

رفاعة رافع الطهطاوي

٢٤- تلخيص الإبريز في أخبار باريز، ط القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر (د. ت)، ص٨٣.

الطنطاوي، (محمد عياد).

٢٥- رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية- ١٨٤٠-١٨٥٠م، المساة" تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا ""، قدم لها: محمد عيسى صالحية، دمشق: مؤسسة الرسالة: ١٩٩٢م.

الشابي، (سهام).

٢٥- الفكر الإصلاحي لخير الدين التونسي -١٨٨١٠- ١٨٩٥م، من خلال كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مذكرة مقدمة لشهادة الماستر، غير منشورة، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية الإنسانية، جامعة الوادي، ٢٠١٤م.

خير الدين التونسي

٢٦- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، ط١. القاهرة: دار الكتاب المصري، ٢٠١٢ م، ص١١.